

#### موقفنا من التراث (٤)

عندما يتحدث إليك فسنجد نفسك بعد لحظات قد وقعت أسيراً لعلمه الغزير وشاعريته الرقيقة، ولما يتسم به من شفافية النفس ورحابة الفكر وعذوبة الحديث ، فالرجل عندما يتكلم يستولى تماما على من يستمع إليه ، وخصوصاً إذا كان يتحدث عن التراث ، إن كلماته عندئذ تتدفق حماسة وحبا واعتزازا .

إنه الأستاذ الدكتور يوسف خليف الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة وصاحب الدراسات الأدبية العديدة التي تزهر بها مكتبتنا العربية والحائز على جائزة الملك فيصل العالمية فى الأدب عام ١٩٨٨ .

وإذا كان هذا الحب الكبير الذى يكنه الدكتور يوسف خليف للتراث قد جعل كل الذين يعرفونه يصفونه بأنه « عاشق التراث » فإن هذا الحب نفسه هو الذى فرض على بداية حديثى معه قضية التراث ومدى حظها من اهتمام العلماء والأدباء .

وقال الدكتور يوسف أن قضية التراث تأتى على قمة ما يشغلنى من الموضوعات ، وإننى أتمنى أن يشغل بها العلماء والأدباء ، فنحن أمة لها تراثها الذى امتد فى غير انقطاع طوال أكثر من خمسة عشر قرنا من الزمان ، ومن الواضح أن السبب فى هذا الاستمرار المتصل يرجع إلى أن اللغة العربية لم تنفرض كما انقرضت اللغات القديمة الأخرى مثل اللغة اللاتينية ، وواضح أيضا أن السبب فى ذلك يرجع إلى القرآن الكريم الذى حفظ هذه اللغة وضمن لها خلودها . واستطرد قائلا : وعلى امتداد هذه الرحلة الطويلة التى تواصلت فيها خطوات تراثنا الأدبى استقرت لنا تقاليد وقيم وأصول ثابتة لم تبق حتى الآن إلا لأنها صالحة للبقاء ، ولأنها تحمى عنصر البقاء ، ولذلك فإنه من أكبر ما نرتكبه من الأخطاء أن ننفصل عن هذا التراث ، ولكن ليس معنى هذا أن نفنى فى هذا التراث، أو أن نعيش فى ذكرياته بعيداً عن حياتنا المعاصرة، أو أن نمضى مع هذا التراث عاندين القهقري إلى الوراء ، وإنما الذى أدعو إليه أن